الفصل الأول

أخلاقيات مهنة التدريس في ضوء المنهج الإسلامي

- مقدمة
- المنهج الاسلامي
- مهنة التدريس
  - مهنة التدريس في ضوء المنهج الاسلامي
  - مهنة التدريس بين منهج الخالق ومنهج المخلوق
  - أخلاقيات مهنة التدريس
  - الإيمان والأخلاق ـ العبادات والأخلاق
  - أخلاقيات المهنة في ضوء المنهج الإسلامي
  - سمات المعلم عند العلماء العرب في العصر الحديث
  - سمات المعلم عند العلماء الأجانب في العصر الحديث
  - سمات المعلم عند العلماء المسلمين
  - سمات المعلم في ضوء القرآن والسنة

مقدمة

بالرغم من وجود بعض الاختلافات في الهدف من مهنة التدريس بين العاملين في المجال التربوي، إلا أن هناك عنصراً مشتركاً بينهم وهو أن الهدف الأساسي من هذه المهنة هو توجيه سلوك الفرد وقد ترجع هذه الاختلافات إلى الاختلاف في الأهداف بين التربية القديمة والتربية الحديثة أو الأهداف بين مجتمع ما ومجتمع آخر تبعاً لاختلاف الاتجاهات السائدة في هذين المجتمعين، فهناك مثلاً الاتجاهات المادية، وهناك الاتجاهات الروحية، ثم ظهرت الاتجاهات التكاملية التي تهتم ببناء الشخصية المتكاملة من خلال تربية وتعليم الفرد(١). وهذا ما أشار إليه العديد من علماء التربية مثل: رونيه أوبير، سبنسر، بستالوزي ، ورتشارد لفنجستون ودور كايم، وغيرهم(٢).

---

(١) مقداد بالجن: توجيه المتعلم في ضوء التفكير التربوي والإسلامي، دار المريخ الرياض، ١٩٨٢ م ص ١٤٢.

(٢) يمكنك الرجوع إلى:

أ ـ رتشارد لفنجستون: التربية لعالم حائر، ترجمة وديع الضبع، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٨ م.

ب ـ سبنسر : التربية: ترجمة محمد السباعي، مطبعة الحرية، القاهرة. ١٩٠٨م.

جـ ـ رونيه أوبير: التربية العامة، ترجمة عبد الله عبد الدايم، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٢م.

وبالرغم من جهود هؤلاء العلماء والمربين، فقد أثبتت التجربة العملية فشل كل هذه الفلسفات والنظم التربوية الدخيلة علينا كمجتمع إسلامي بل وعجزها عن تربية الفرد والمجتمع في الغرب والشرق على حد سواء. وإذا كانت التربية أساسية في حياة الناس، فلابد وأن تؤخذ فلسفتها ومبادئها لا من نظريات سبنسر وبستا لوزي وغيرهم بل من القرآن الكريم والسنة النبوية، من المنهج الثابت الذي لم يدع للنظريات التربوية ولا لاجتهادات التربويين الفردية، شيئاً من الأسس والمباديء التي تنفع الناس في أمور حياتهم في الدنيا وفي الآخرة. يقول الله تعالىٰ : ﴿ **ما فرطنا في الكتاب من شيء** ﴾ [سورة الأنعام/الآية: ٣٨] ويقول عز من قائل ﴿ **ونزَّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين** ﴾ [سورة النحل/الآية: ٨٩] وكان من نتيجة اتباع تلك النظريات التربوية بمعزل عن القرآن الكريم أن أصبح نظام التربية والتعليم في مؤسساتنا التعليمية غير قادر على تأدية رسالته فلا هو بلغ بالمسلمين في أمور الدنيا ما بلغ بغيرهم، ولا هو استجاب لمشاعرهم وصدق ميولهم، وأشبع الاتجاه الديني المتأصل في نفوسهم[1] بالرغم من ذلك فإن هذه النظريات التربوية قديماً وحديثاً ما هي إلا رافد من روافد التعليم الديني نصاً وروحاً.

المنهج الاسلامي :

أرسل الله سبحانه وتعالى لكل رسول ونبي منهجاً واضحاً ودقيقاً وسلساً في مجال التربية والتعليم، يقول الله تعالى: ﴿ **وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا**

(١) محمد الأفندي، نبي بالوتش: المنهج وإعداد المعلم، ترجمة عبد الحميد الخريبي، سلسلة التعليم الإسلامي، عكاظ، جدة، ١٩٨٤ من ١٧ ـ ٢٣.

منكم شرعة ومنهاجاً ﴾ [سورة المائدة/الآية: ٤٨]. هذا هو القرآن الكريم وصفه الله سبحانه وتعالى بأنه مصدقٌ لما بين يديه ومهيمن عليه هذا هو القرآن الكريم يحسم قضية أنه منهج ومعجزة، فهو منهج للحياة ينير الطريق لمن يمتثل لما أمر الله به ويجتنب ما نهى عنه، ومعجزة في أنه حق ثابت وبقاؤه خالداً مهمة من السماء لم توكل لأحد من البشر، يقول الحق: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ [سورة الحجر/الآية: ٩].

وجاء المعلم الأكبر محمد ﷺ بالمنهج الاسلامي ومابه من نظريات تربوية دقيقة تقوم على الاقتناع العقلي والنفسي والروحي وتتبنى الاتجاه التكاملي في تكوين الفرد الصالح في الحياة الدنيا، وإعداده للحياة الآخرة، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة في مهنته كمعلم ومرشد ومصلح، في مباديء مدرسته وأهدافها ووسائلها ، في التربية والتقويم ، في محتواها العلمي وما يتناوله من طبيعة وإنسان وحيوان ونبات وجماد وأنظمة.

وبرز عدد من العلماء المسلمين في ظل هذا المنهج الشامل، وإن كانت محاولاتهم توقفت عند حدود التخطيط الجيد، والتفكير العلمي الصحيح، دون الوصول إلى جعل القرآن الكريم عملاً وسلوكاً داخل المؤسسات التعليمية، وظل تفكيرهم محصوراً في تقديم هذا المنهج في صورة منفصلة عن باقي المناهج، في صورة مقررات منفصلة للإرشاد والتوجيه وحفظ بعض السور، وافعل ولا تفعل بعيداً عن روح المنهج والتطبيق العملي، ففصلوا بين الدين والحياة ونسوا أنها مكونات لشخصية واحدة نسعى جميعاً لتربيتها للحياة الدنيا والآخرة. نسوا أن المنهج الاسلامي منهج دقيق كامل متكامل، وإذا نجحنا في تطبيقه، أعطانا الأكمل والأفضل والأمثل دائماً في مجال مهنة التدريس، ولم لا وهو المنهج الذي كرم الله به بني آدم أجمعين.

قال تعالى: ﴿ **وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم**

القيامة كتابا يلقاه منشوراً * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ [سورة الإسراء/الآيات: ١٣ - ١٤].

كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا** ﴾ [سورة الإسراء/الآية: ٣٦]. ولم لا وهو المنهج الذي يأخذ الكائن البشري بواقعه الذي هو عليه يعرف حدود طاقته ويعرف مطالبه ﴿ **لا يكلف الله نفساً إلا وسعها** ﴾ [سورة البقرة/الآية: ٢٨٦] ولم لا وهو منهج القوة. قال تعالىٰ: ﴿ **وأعدوا لهم ما أستطعتم من قوة** ﴾ [سورة الأنفال/الآية: ٦٠]، والعلم ﴿ **وقل رب زدني علماً** ﴾ [سورة طه/الآية: ١١٤]، والحرية الموجهة ﴿ **أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** ﴾ [سورة يونس/الآية: ٩٩]. والعلاقات الاجتماعية ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ [سورة الحجرات/الآية: ١٠]. والتراحم والتكامل ﴿ **الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرًّا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ [سورة البقرة/الآية: ٢٧٤]. والنظم والعلاقات الدولية، قال تعالىٰ :﴿ **إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت** ﴾ [سورة هود/الآية: ٨٨] والشورى، وروابط الأسرة والعلاقات بين الأفراد والطبيعة... الخ. ولم يترك شيئاً إلا وضع أسس التعامل معه. هذا المنهج الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه يمكننا أن نحدد في ضوئه ثلاثة مناحٍ أساسية[1].

١ ـ أن يكون أساساً للهداية وتنظيم علاقة المخلوقات بما فيهم الإنسان بالخالق إيماناً وتوحيداً وتسليماً، ثم تنظيم علاقتهم فيما بينهم من تعامل وتصور للكون والحياة. هذه الهداية تميزت بالعمومية والدقة والوضوح والشمول. قال تعالىٰ: ﴿ **وأوحي إليّ هذا القرآن**

(١) زاهر عواض الألمعي: دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ط ١، الفرزدق التجارية، الرياض، ص ٤٩ ـ ٥٢.

لأنذركم به ومن بلغ ﴾ [سورة الانعام/الآية: ١٩]. لأن هذا المنهج سجل كل ما يحتاج إليه الإنسان من عقيدة وأخلاق وعبادات ومعاملات. ونظم علاقة الإنسان بربه وبالكون وبطريقة علمية حكيمة مع مراعاة مطالب العقل والجسد، يقول تعالىٰ: ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾ [سورة الملك/الآية: ١٤].

٢ ـ أن يكون هذا المنهج تثبيتاً وتأييداً لمحمد ﷺ معلم البشرية ومدرسته بما فيها من معرفة وأهداف وطرق وأساليب تدريس ووسائل معينة وتقويم ومعلمين ومتعلمين. ومن آيات صدق هذا المنهج وإعجازه عدم التناقض والتعارض على مر العصور والأجيال، وما من حقيقة علمية أو قضية أو أي جزئية في المجال التعليمي أو غيره من المجالات في هذا الكون الواسع إلا وقد دخلت تحت كلية من كليات هذا القرآن العظيم توجيها وهداية وحكماً يقول الله سبحانه وتعالىٰ:﴿**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً**﴾ [سورة الاسراء/ الآية: ٨٨]. كما يقول جل شأنه: ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً** ﴾ [سورة النساء/الآية: ٨٢].

٣ ـ عبادة الله بتلاوة القرآن الكريم والتفكر في آياته. هكذا نجد أن القرآن الكريم كمنهج كامل تربوي يهدف إلى تكوين الشخصية الانسانية الصالحة الخيرة وركز على اتباع الجوانب الإيجابية في تربية الانسان، واجتناب الجوانب السلبية التي تنقص من قيمة هذا الانسان، كما تناول القرآن جوانب كل شيء في التربية وفصلها وبينها لنا في آياته، فمن أهداف التربية القرآنية:[1].

---

(١) علي شواخ الشعيبي: وصايا تربوية قرآنية ونبوية، دار الراية، الرياض، ط ١، ١٩٨٧، ص ١٠ ـ ١١.

١ ـ الاقتداء بالأنبياء والرسل كنموذج رفيع مزود بأساليب ووسائل تربوية فعالة.

٢ ـ الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة واستخدام الأساليب الحسنة بالموعظة، والتمتع بالرحمة.

قال تعالىٰ: ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن** ﴾ [سورة النحل/الآية: ١٢٥].

٣ ـ دعوة الفرد إلى التفكر والتفاؤل والتطلع الدائم نحو الخير والأمل، فلا نجهل ذلك لأنها إرادة الله ﴿ **ولو شاء ربك لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين** ﴾ [سورة الانعام/الآية: ٣٥].

٤ ـ ديمومة العمل والإخلاص فيه والسعي بجد ﴿ **تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً** ﴾ [سورة الفرقان/الآية: ١].

٥ ـ تربية الفرد على الصدق والشجاعة ومواجهة الباطل من خلال منهج الحق وتطبيقه. ﴿ **وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** ﴾ [سورة الكهف/ الآية: ٢٩]. وإن كان المنهج الاسلامي جاء لتوضيح كل شيء كما قال الحق ﴿ **ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون** ﴾ [سورة الأعراف/الآية: ٥٢] فقد أرسل الله لنا معلماً كبيراً في تفكيره، قدوة في سلوكه ليوجهنا ويعلمنا في مدرسته قواعد هذا المنهج وأسسه وأساليبه التربوية ﴿**كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون**﴾ [سورة البقرة/الآية: ١٥١]. وظلت مدرسة محمد ﷺ قوية بمنهجها حتى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها نتعلم منها ما لم نكن نعلمه، وما أحوج أبناءنا اليوم إلى أن يشبوا بين جدران هذه المدرسة.

مهنة التدريس:

مهنة التدريس هي مهنة الأنبياء والمرسلين، فهذا نوح عليه السلام يقول لقومه: ﴿ **أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون** ﴾ [سورة الاعراف/الآية: ٦٢]. وهذا هود عليه السلام يقول لقومه: ﴿ **أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين** ﴾ [سورة الاعراف/الآية: ٦٨]. وهذا معلم البشرية يوضح لنا المنهج الذي كلف به فيقول محمد ﷺ: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم ولا تزيع به الأهواء ولا تنقضي عجائبه» (رواه الترمذي) كما أن أسس رسالات الرسل ومبادىء دعوتهم واحدة، ودعوا جميعاً إلى عقيدة التوحيد والعبادة يقول الحق ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾ [سورة النحل/الآية: ٣٦]، وإن كنا نرى اليوم بعض اختلافات في المعتقدات بين اتباع رسالات سماوية صحيحة الأصل، فيرجع ذلك إلى التحريف والتبديل الذي دخل إلى مبادىء الديانات الأخرى. ولهذا عندما نزل المنهج الاسلامي الشامل على محمد ﷺ تعهد الله بحفظه من التبديل والتغيير ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ [سورة الحجر/الآية: ٩]. فبقوة عناصر المنهج بقي أربعة عشر قرناً وسيبقى بمشيئة الله إلى يوم يبعثون. فهذا المنهج معجزة الله الخالدة لكافة العهود والأجيال على الأرض. ولهذا وجب على من يتعهد بحمل أمانة هذه المهنة أن يتخذ من الرسل والأنبياء نموذجاً يقتدي به للاعتبارات التالية:

١ ـ تنفيذاً لأوامر الله سبحانه وتعالى.

٢ ـ عدم التخبط بين الاتجاهات المختلفة قديماً وحديثاً تبعاً لاختلاف الاتجاهات الفكرية والفلسفية والاجتماعية في كل مجتمع. فكل ما جاء به السابقون والحاليون ويأتي به القادمون في عالم التربية لم ولن يأتوا بجديد ولا بأفضل مما جاء به المنهج الاسلامي والأنبياء والرسل حول أسس هذه المهنة والذي يصلح لكل مكان وزمان.

٣ ـ ضمان تحقيق الأهداف من هذه المهنة في ظل منهج قوي وشامل وواضح ودقيق.
٤ ـ ضمان تحقيق المجتمع الإسلامي الفاضل.
٥ ـ العمل بهذه المهنة دون خوف سوى الله وتوجيه القول والفعل لله دون خضوع وذلة لغيره.
٦ ـ تربية أبنائنا بعيداً عن الفسق والكذب والنفاق عندما يؤمن معلمهم بأن الله يراه في أقواله وأفعاله.
٦ ـ السعي لإزالة السلوكيات غير المرغوبة أكثر من السعي لازالة الأمية أياً كانت أبجدية أو علمية أو ثقافية.
٨ ـ التركيز على التربية أكثر من التعليم.
٩ ـ الخضوع والإنقياد لمنهج ثابت وصراط مستقيم ألا وهو العبادة ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ [سورة الذاريات/الآية: ٥٦].
١٠ـ الشعور بالثقة والصفاء الروحي حينما يحاول المعلم حمل هذه الأمانة التي عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها.

المهنة:

تتكون مهنة التدريس من مقطعين : المهنة التي تشير إلى مجموعة من السلوكيات التي يتضمنها عمل ما للفرد مثل مهنة الطب أو مهنة التجارة أو غير ذلك من المهن، ولكن عندما يرتبط مصطلح مهنة بمصطلح التدريس، يُصبغ بصبغة أعم وأشمل ويكون أكبر من مجموع السلوكيات التي تتضمنها أي مهنة أخرى، ويكون أكبر من مصطلح وظيفة أو عمل أو إجراء روتيني، والخطأ في أي مهنة غير مهنة التدريس يكون محدوداً، وسهل احتواؤه والسيطرة عليه، أما الخطأ في مهنة التدريس سيكون جماعياً وتصعب السيطرة عليه، بمعنى أن عائد هذه المهنة جماعي قبل أن

يكون فردياً كما أنه يؤثر على المجتمع ككل، وقد أطلق البعض عليها أم المهن. فهي تتسم بشمولها ومسؤوليتها عن تنمية الجوانب العقلية والجسمية والانفعالية للفرد بما يتفق وصالح المجتمع الاسلامي، أي بناء أفراد صالحين يسعون للخير والرفعة للمجتمع، يتحلون بالفضيلة ويتخلون عن الرذيلة، حتى يقتربوا من الإنسان الكامل وبالتالي تأسيس أمة إسلامية كريمة مؤمنة، وهذا لأن جوهر الإيمان بالله عند القيام بهذه المهنة، يمنح النفس القوة الصادقة، والسعي الطيب الإيجابي لمجابهة كل ما في الحياة من صعاب. إن المعلم المؤمن بأهمية هذه المهنة والمؤمن بمنهج الله يجب أن يلتزم دوما بإقامة أركان الإسلام الحنيف، ويمارس الحياة بالصدق والإخلاص في القول والعمل داخل الفصل وخارجه، ويتصف بعزة النفس ولا يذل لأحد لأنه لا يلجأ إلا لله تعالى. ومن يتخذ الرسل والأنبياء له قدوة في مهنة التدريس سيشعر بالاطمئنان والرضا بما يرزقه الله من هذه المهنة، وسيلتزم بالعدل والقسط. سيكون هذا المعلم خليفة حقاً لله في الأرض وقدوة طيبة لتلاميذه ولبنة متينة ثابتة في بناء أمة مترابطة مؤمنة من أفضل الأمم كما وصفها الله عز وجل: ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾ [سورة آل عمران/الآية: ١١٠].

التدريس(*):

أما مصطلح تدريس فيشير إلى العملية المركبة التي تؤدي إلى تعلم فعال أو أنه إجراءات معينة تمثل إحدى سلوكيات المدرس، بمعنى أن سلوك المدرس يتضمن سلوك التدريس[1] وسلوك التدريس باعتباره جزءاً من

(*) انظر الفصل السابع للمزيد حول مفاهيم التعلم والتعليم والتدريس.

(١) محمد أمين المفتي: سلوك التدريس، مؤسسة الخليج العربي، القاهرة، ١٩٨٦.

سلوك المدرس العام هو كل ما يصدر من المعلم من أقوال وأفعال داخل البيئة الصفية بهدف تعديل سلوك المتعلمين، هذه الأقوال والأفعال طالما أنها صادرة من إنسان مسلم، وجب أن تكون خاضعة ومنقادة لمنهج الله الثابت، والخضوع هنا لا يعني إذلالاً بقدر ما يعني عزة وقوة لأنه خضوع للعادل، للحق، للصراط المستقيم، وهذا هو معنى كلمة إنسان مسلم أي أن المعلم يلقي زمام أقواله وأفعاله إلى من يثق أنه حكيم وقادر على كل شيء، لا يستطيع أحد أن ينازعه، والاستسلام والخضوع للرب الأعلى يجعله مطمئناً لأنه يتصرف لك. هذا هو سلوك التدريس وما ينبغي أن يكون عليه، أما سلوك المعلم عامة وما يتضمن من سلوكيات أخرى ضرورية لمهنة التدريس سيتم تناوله في الصفحات القادمة في إطار إخلاقيات المهنة وسمات المعلم كما جاء بالمنهج الثابت.

مهنة التدريس في ضوء المنهج الاسلامي:

حين تنمو مهنة التدريس في أحضان الإسلام، فإنها تبلغ ذروة قوتها ومنتهى سلامتها، فالإسلام محيط شامل، تستوعب أحكامه وتعاليمه مهنة التدريس وغيرها من المهن، وكل خطوة نخطوها في هذه المهنة مباركة بأمر الله إذا اتصلت بهذا المنهج، فليس هناك اختلاف في أن هذه المهنة جزء من دنيا المسلم بل جزء هام وأساسي كما سبق الاشارة إليه، وطالما من دنيا المسلمين فعليها أن تتسم بمبادىء وقيم وأخلاقيات الإسلام، حتى نرى التوازن بين الدين والحياة عند القائمين بهذه المهنة في تعليمهم وتربيتهم، في تعظيمهم لدور العقل أو إيمانهم بقيمة الفكر في تقديرهم للعلم أو رؤيتهم للعمل، وكل ذلك يتطلب جهداً لتحقيقه، وهناك اتفاق تام على أن من يعمل بهذه المهنة يجب أن يكون عمله لله وأن الله سيعاقب الذين لا يقصدون فيها وجه الله، وقد حذر الله سبحانه وتعالى من يخرج عن منهجه في قوله تعالى: ﴿ **ومن أعرض عن ذكري فإن له**

معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى * قال ربِّ لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرًا * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسىٰ ﴾ [سورة طه/الآيات: ١٢٤ ـ ١٢٦] والضنك هنا هو أن يجد الإنسان من واقع الحياة ما لا يستطيع أن يدفعه عن نفسه بقوته أو ماله أو غير ذلك. فالذين يعملون بهذه المهنة ويتمسكون بمنهج الله يضمنون السلامة وتصغر أمامهم كل مشاكل الحياة.

كما أمرنا الله سبحانه وتعالى أن يكون تعليمنا ودراستنا لله رب العالمين لا للإرتزاق، ونيل الوظيفة فقط، فقال المولى عز وجل: ﴿ **كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون** ﴾ [سورة آل عمران/ الآية: ٧٩] كذلك يقول الله تعالىٰ: ﴿ **إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** ﴾ [سورة البقرة/الآية: ١٥٩]. وهذا الحكم شامل لكل من كتم علماً فرض الله بيانه للناس، كما حذرنا رسول الله ﷺ قائلاً: «من علم علماً فكتمه، ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار» (رواه أبو داود والترمذي). وقال ﷺ أيضاً «من تعلم علماً لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار» (صحيح الترمذي). ثم أظهر الرسول ﷺ أن من يقوم بتعليم أخ له علماً تعلمه يعد أفضل صدقة، «أفضل الصدقة: أن يتعلم المرء المسلم علماً ثم يعلمه أخاه المسلم» (رواه ابن ماجه باسناد جيد).

أيضاً يقول ﷺ: «نضر الله امرءاً سمِع منَّا شيئاً فبلَّغَه كما سَمِعه فرُبَّ مُبلغ أوعى من سامع» (رواه أبو داود والترمذي). ونضر هنا تعني الدعاء له بالنعمة والبهجة والحسن. كذلك حرَّم الإسلام طلب العلم لأغراض غير أخلاقية مثل التكبر والتعالي على الآخرين، فقال الرسول ﷺ: «لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء أو لتباروا به السفهاء، ولا لتُحَدِّثوا به في المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار» (المستدرك على الصحيحين في الحديث).

من العرض السابق نجد أن من يعمل بهذه المهنة يجب أن يكون عمله لوجه الله تعالى، ويستمد أهدافه من وحي عقيدته وإيمانه، من المنهج الحق الثابت ولتكن غايته من عمله ليس تكبراً أو نفاقاً أو تبارياً أو إرتزاقاً ونيل وظيفة فقط بل يجب أن تكون غايته أخلاقية مستمدة من القرآن والسنة الشريفة، ومن يرغب العمل بهذه المهنة يجب أن يعد العدة لذلك من الآن، فهذا مقصد الحديث في هذا الفصل الذي يتصدر كتاباً وجه أساساً لكل معلم مبتدىء أو طلاب التربية الميدانية وهم يطرقون أبواب هذه المهنة، فعليهم ترسيخ دعائم الاسلام في نفوسهم والتحلي بأخلاق معلم البشرية جمعاء، ليكونوا أهلا لهذه المهنة ويتحملون أمانة حملها كما نظمها الخالق وتناولها محمد ﷺ عندئذٍ سينال كل من يحملها ثوابه الكبير من الخالق سبحانه وتعالىٰ، ومن المخلوق المسؤول عنها ولا ينسى من يعمل بها أنها عبادة من العبادات بل هي خير من العبادة، قال المعلم الأعظم ﷺ: «فضل العلم خير من فضل العبادة، وخير دينكم الورع» (رواه الطبراني في الأوسط باسناد حسن). وقال أيضاً: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» ثم قال «إن الملائكة وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير» (رواه الترمذي) والخير هنا هو أي تغير أو تعديل في سلوكيات المتعلمين إلى الأفضل في ضوء القرآن والسنة.

مهنة التدريس بين منهج الخالق ومنهج المخلوق:

للوقوقف على الفرق بين التشريع الإلهي والتشريع الوضعي حول مهنة التدريس لابد أن نفهم الحقيقة بين ما يخضع للقانون الإلهي في إصلاح الأخلاق والسلوك وما يخضع للقانون الأرضي في ذلك. فالقانون الأرضي يخضع للعقل، والعقل يخطىء ويصيب، بينما القانون الإلهي

يعتمد على الوحي والوحي لا يخطىء لأنه معصوم. لفهم هذا الفرق يجب أيضاً أن نفرق أولاً بين التعقل والتصور فكلنا ندرك تماماً بالعقل أن الله موجود، حقيقة تظهر في كل شيء حولنا، وقد أكرمنا بمنهج شامل بالعقل أن الله موجود، حقيقة تظهر في كل شيء حولنا، وقد أكرمنا بمنهج شامل منظم لهذه المهنة ولا جدال فيه، أما التصور فهو من البشر حول أسس وتنظيمات هذه المهنة، وطالما هو من البشر فهو قابل للتبديل والتغيير، لأن الإنسان الذي يضع القانون أو القاعدة قد يضعه ويصححه بما يخدم هواه وفكره واتجاهات بلده، فالذي يرغب أن ينشيء جيلاً ماركسياً مثلاً، وضع قواعد وأسس المجال التعليمي بما يخدم الماركسية... وهكذا، أي أن القوانين الوضعية ليست ثابتة ثباتاً مطلقاً بل نسبياً، أما القوانين الإلهية فثباتها مطلق وواضح ومتعقل. بالإضافة إلى أن التكليف صدر من الله سبحانه وتعالى بتوضيح وتفسير جلي، أما ما اعتمد في مهنة التدريس من أسس اعتمدت أولاً وأخيراً على آراء بشرية من خلق الله، فكيف تأتي بما هو أفضل من الصانع والخالق الأعظم لأصحاب هذه الاراء البشرية، كيف وقد اعتمدت على استطلاعات آراء العامة والخاصة قبل تقنين هذه الأسس التربوية. ومن طبيعة الرأي الانساني أنه يتأثر بالعواطف والنزعات والميول والعوامل المحيطة به حتى نجد أن مسلمات العلم، تكون قابلة للتغيير أحياناً بل أيضاً القوانين والنظريات، وذلك ببساطة لأن الإنسان تتغير آراؤه وأفكاره في ضوء الاتجاهات السائدة في مجتمعه، وإن تغيرت أفكاره وآراؤه تبدلت مقاييس الخير والشر والجائز والمحظور في هذه المهنة، فليس هناك مقنن من غير البشر، ليس لديه منهج ثابت أو طريق مستقيم وواضح، وبالتالي لا نستطيع أن نقنن مقياساً ثابتاً للأخلاق الفاضلة التي نتوخاها في أبنائنا في ظل هذه المهنة، ويتحكم فيها

الطبائع الانسانية والتيارات السائدة في مجتمع ما. أما التشريع الالهي وما أتى به الإسلام، قد حل هذه القضية، ورسم حدود الأخلاق والسلوك ونظام العمل والعلاقة بين أفراد المهنة، وطالب الجميع قبل كل شيء بالإيمان بالله تعالى وبرسوله الكريم وبكتبه، ثم الخضوع لمنهجه الثابت. وقبول المعلم لهذه الدعوة أو رفضه لها يتوقف على رغبته ورضاه فهو مخير في ذلك، ولكن متى آمن بها، بطل كل قانون وضعي بعد ذلك، وأصبحح ما آمن به واجب التنفيذ والخضوع لاحكامه، فلم يترك الاسلام صغيرة ولا كبيرة في إطار هذه المهنة إلا عالجها ويكفي المنهج الاسلامي فخراً أن خصوم الاسلام شهدوا به واعترفوا بحيويته وصلاحه لكل مكان وزمان[1] فهذه شهادة أحدهم، وإن كان الاسلام لا يحتاج إلى شهادة منهم، فهو قوي بمنهجه وكيانه ـ وهو المفكر الانجليزي المشهور «برنارد شو» عندما قال: ـ «لقد كان دين محمد موضع تقدير سام لما ينطوي عليه من حيوية مدهشة، وإنه الدين الوحيد الذي له ملكة الهضم لأطوار الحياة المختلفة، وأرى واجباً أن يدعى محمد منقذ الإنسانية، وأن رجلاً كشاكلته إذا تولى زعامة العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته» هذا هو محمد ﷺ ومدرسته التي صنعت رجالاً ولم تلقن نصوصاً، المدرسة التي حولت النصوص القرآنية والأفكار المجردة إلى سلوكيات طيبة، ورجال حملوا الأمانة حتى يومنا هذا، تضمنت هذه المدرسة كل ما يضمن الخلود للمدرسة الناجحة من محتوى تعلم وطرق وأساليب تعليم ووسائل وأنشطة تعليمية ووسائل تقويم. وهكذا نجد أنه بالرغم من تعدد النظريات التربوية قديماً وحديثاً حول مهنة التدريس، إلا أنها ضعيفة أو لا تصلح إلى جانب القرآن الكريم، لأنها من صنع البشر[2] ورب البشر أدرى بنفعهم جميعاً،

(١) عبد الله علوان: تربية الأولاد في الإسلام، جـ ١، دار السلام، حلب ط ٣، ١٩٨١، من ص ٦ ـ ٧.

(٢) علي شواخ الشعيبي: مرجع سابق، ص ٨.

أما القرآن الكريم فهو الكتاب الوحيد الذي حفظه الله على مدى التاريخ والذي لا مبدل لكلماته، ويزداد مع الزمن تألقاً في ما يكشف العلماء من أسرار تكون إشارات رائدة لعلوم أبعد مدى[1]. فهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وصدق الله العظيم في قوله: ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً** ﴾ [سورة النساء/ الآية: ٨٢].

وبالرغم من ذلك، ما زال هناك العديد من أبناء أمتنا الإسلامية مبهورين بما يقذفه الآخرون لنا من نظريات تربوية سواء كانوا في الشرق أو في الغرب، هذه النظريات والآراء حول مهنة التدريس لم ولن تأتي بجديد إلا في شيءٍ واحد وهو إثبات أنه ما زال البعض منا عاجزاً عن استنباط النظريات التربوية من القرآن والسنة أو عاجزاً عن جعل الأفكار المجردة والنصوص الشريفة سلوكاً ملحوظاً بين جدران مدارسنا. والجدير بالذكر أن كل من يطرق باب مهنة التدريس أو يعمل فيها مهما توفر له من العقل والعلم الواسع لا يمكنه التخلص من الهوى والذاتية ما لم يكن مطيعاً للقانون الرباني ومتمتعاً بقوة الإيمان بالله. وثمة شيء آخر أن بعث الحاسة الخلقية للمعلم ويقظة ضميره المحاسب، وتزويده بالقوة التي يتغلب بها على النفس الأمارة بالسوء اثناء عمله، ليست في مقدور العلم ولا في طوق المعلم، بل في طوق الدين، في طوق الإيمان بالله ورسله وملائكته وكتبه، في طوق العقيدة الراسخة التي تخلق الانسان خلقاً جديداً وتهديه صراطاً مستقيماً. وليعلم كل معلم أن مهمته لم تنحصر في التعليم فقط بل في التربية قبل التعليم، مهمته أن يعود تلاميذه على الصدق في القول والعمل، ويحببهم في العبادة، يهذب أخلاقهم في الكثير من الأمور عند التعرض لها لا يقتصر على سقيهم المعارف فقط. ثم يتركهم كالأنعام

(١) بكري شيخ أمين: أدب الحديث النبوي، دار الشروق، القاهرة، ط ٤، ١٩٧٩، ص ٢٣١.

السائمة لا تميز بين حلال وحرام، لابد من غرس حب الله ورسوله ومراقبة الله في قلوبهم، فكل معرفة تنمو بعيداً عن التأثير الديني فهي قليلة النفع، وللدين على القلوب سيطرة وسلطان ليس لغيره مثلهما، والتركيز على التعليم فقط بعيداً عن التربية الإسلامية، يجعل أبناءنا عرضة للضلال والفساد وسوء الأخلاق، ويتذكر كل معلم قول معلمنا الأكبر محمد ﷺ: «إن الله سائل كل راعٍ عما استرعاه حفظ أم ضيع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته» (رواه بن حبان في صحيحه).

أخلاقيات مهنة التدريس:

جاء المعلم الأكبر محمد ﷺ ليتم مكارم الأخلاق، وحين امتدحه ربه عز وجل اختار أفضل الصفات ليثني عليه بها فقال تعالى: ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ [سورة القلم/الآية: ٤] وأقرب الناس مجلساً من الرسول يوم القيامة أحسنهم أخلاقاً والخلق الحسن أيضاً علامة على كمال الإيمان، والمسلم الحق من سلم المسلمون من لسانه ويده أي من أقواله وأفعاله، هذه قيمة الأخلاق في نظر الإسلام فالأخلاق السامية تعني الصدق والأمانة والنزاهة والقوة والعفة والعطاء وحسن المعاملة، وهذا ما اتسم به معلم البشرية من جود وشجاعة وحياء وحسن عشرة وعظيم أدب وحسن عهد، وصلة رحم، وعدل وتواضع وبسط خلق.

والمدرسة الفاضلة هي المدرسة التي تسودها الأخلاق، يتعارف أبناؤها فلا يتناكرون ويتحابون ولا يتباغضون، يتعاملون فيما بينهم بالمودة والعدل والرحمة، فلا يبغي بعضهم على بعض ولا يقسو بعضهم على بعض وهذا لن يأتي إلا إذا كانت العقيدة راسخة والإيمان عميقاً مسيطراً على قيادة هذه المدرسة من المدير إلى الطالب المستجد فيها.

الإيمان والأخلاق:

سئل رسول الله ﷺ أي المؤمنين أكمل إيماناً، فقال أحسنهم أخلاقاً، والإيمان بشريعة الخالق والالتزام بها هو الذي يحدد للمعلم سلوكه في مهنة التدريس كما أن العلاقة قوية جداً بين الإيمان والصدق والوفاء والأمانة فيقول الرسول ﷺ: «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا أئتمن خان» ويبدو جلياً من القرآن الكريم والسنة المطهرة أن معنى الإيمان بالله تعالى، أن يكون المؤمن ذا خلق محمود. أي أن الأخلاق السيئة في معلم ما دليل على عدم وجود الإيمان لديه.

العبادات والأخلاق:

كذلك هناك علاقة قوية بين الأخلاق والعبادات لأن العبادات هدفها وغايتها السمو الخلقي بالمسلم، وأهم عبادة شرعها الإسلام هي الصلاة لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي فيقول الله تعالى في حديثه القدسي: «إنما اتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي، ولم يستطل بها على خلقي، ولم يبت مصراً على معصيتي، وقطع نهاره في ذكري، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب، ذلك نوره كنور الشمس، أكلأه بعزتي، واستحفظه بملائكتي، أجعل له في الظلمة نوراً وفي الجهالة حلماً، ومثله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة» هكذا يتقبل الله الصلاة ممن أثمرت فيه تواضعاً ورحمة وخلقاً وطيباً. وعندما سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ وهو المعلم القدوة لنا جميعاً في هذه المهنة، قالت «كان خلقه القرآن» لهذا نجد أن التزام المعلم بالعبادات مثل الصلاة في مسجد المدرسة أو الصيام.. الخ يعد أحد أخلاقيات مهنة التدريس، وعلى كل معلم أن يدرك تماماً أن الإنتماء لهذه المهنة والقيام بها على أكمل وجه، ليس بالعمل اليسير وطريقها ليس مفروشاً بالورود، فهي

ليست وظيفة فقط وليست حرفة تحتاج لمهارات معينة، بل هي تكليف بأحد فرائض الله الكفائية ومن يعمل فيها وجب عليه الإلتزام بشروطها وأخلاقياتها، أشار البعض إلى هذه الأخلاق على النحو التالي [1].

أولاً: ـ التعليم رسالة ومهنة ذات قداسة خاصة ويجب على المعلمين أداء حق الإنتماء لها والإخلاص في العمل والإيمان بأهميتها والمحافظة على شروطها وأن تكون علاقة المعلم بطلابه علاقة الأب بأبنائه.

ثانياً: ـ أن يكون المعلم قدوة طيبة لطلابه وللمجتمع عامةً متمسكاً بالأخلاق الحميدة والقيم والمثل العليا وبذل الجهد في حدود ما أمرنا الله به، وكذلك أن يكون عادلاً في معاملاته مع طلابه ويرسخ مواطن التعاون والتكامل بينهم.

ثالثاً: ـ أن يكون قدوة طيبة للمجتمع المحيط به، ويقوم فيه بدور المرشد والموجه ويكون صاحب فكر ورأي وموقف من قضايا المجتمع ومشكلاته ويتطلب ذلك منه الثقافة العامة والخبرة الواسعة.

رابعاً: ـ التزود بالمعرفة وتطورها في تخصصه والمساهمة في الأنشطة الحسنة.

خامساً: ـ الثقة المتبادلة بينه وبين زملائه ثم بينه وبين المنزل.

سادساً: ـ أن يؤدي عمله بروح العابد الخاشع.

والأخلاق هي العلم الوحيد الذي يمكن أن يحقق لجميع العاملين بهذه المهنة السعادة فيقول الرسول ﷺ: «من سعادة المرء حسن الخلق ومن شقاؤته سوء الخلق» (على هامش مسند الإمام أحمد). ولا يتسع المجال هنا لتناول موضوع الأخلاق عامة وأثرها على الفرد والمجتمع وجوانبها،

(١) انظر: مكتب التربية العربية لدول الخليج: إعلان المكتب لأخلاق مهنة التعليم الذي أقرة المؤتمر العام الثامن للمكتب، الدوحة، من ٢٤ ـ ٢٧ مارس ١٩٨٥.

وآثارها اجتماعياً ونفسياً وصحياً[1] ولكن في ضوء ما جاء به القرآن والسنة الشريفة، واجتهادات العاملين بالمجال التربوي ووجوب التأسي برسول الله وأصحابه يمكن تحديد أخلاقيات مهنة التدريس على النحو التالي:

١ ــ الأمانة:

ـ وهي الأمانة في العمل داخل الفصول وخارجها، الأمانة في القيام بالواجبات الادارية والتعليمية فمن المفروض أن أولياء الأمور قد تركوا أبناءهم في أيدي أمينة، فلابد من حفظ هذه الأمانة.

يقول الله تعالىٰ: ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها** ﴾ [سورة النساء/الآية: ٥٨] والأمانة في مهنة التدريس هنا تعني أي أمر مرتبط بالمعلم لصالح المتعلم ومن جانب آخر أي أمر مرتبط بالمعلم لصالح المؤسسة التعليمية ككل بل والنظام عامةً بمعنى أن الأمانة في مجال المهنة تتعدد صورها وليس على المعلم إلا حفظ هذه الصورة المختلفة من الأمانات، وعلى أن يكون آداؤه وعلاقاته المهنية قائمة على العدل، فيقول الله تعالىٰ: ﴿ **وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل** ﴾ [سورة النساء/ الآية: ٥٨].

٢ ــ الحكمة:

والحكمة هي وضع الأمور في نصابها، وفي مكانها الصحيح

---

(١) يمكنك الرجوع إلى:

وهيب سمعان، محمد منير مرسي: الإدارة المدرسية الحديثة، القاهرة، عالم الكتب، ط ٢، ١٩٨٥، ص ١٦٠.

محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، ط ١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٩.

مقداد بالجن: التربية الأخلاقية الاسلامية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٧.

عبد الودود مكروم: الأحكام القيمة الاسلامية لدي الشباب الجامعي رؤية تربوية، مكتبة إحياء التراث الإسلامي، المدينة المنورة، ١٩٩٤.

ومخاطبة كل إنسان على قدر عقله ومستواه، وهذه من المبادىء التربوية التي تنادي به النظريات الحديثة، فيقول الرسول ﷺ: «أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم» بهذا يستطيع المعلم أن يراعي الفروق الفردية بين الطلاب، فالحكمة مطلوبة من القائمين على هذه المهنة في تعاملهم مع الطلاب وتعاملهم مع بعضهم ومع رؤسائهم فعند معاملة المعلم مع طلابه داخل البيئة الصفية مثلاً يجب أن يقلل من إلقائه للمعلومات ويتناول طرقاً أخرى أكثر فاعلية مثل المناقشة أو الاستقصاء أو الأنشطة التي تجعل من المعلم عنصراً فعالاً مشاركاً لا مستمعاً فقط فقد يكون كثرة الكلام والالقاء من جانب المعلم سبباً في ملل التلاميذ وشرود تفكيرهم، يقول الرسول ﷺ: «خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا».

٣ ــ إخلاص النية:

وهو إخلاص القصد في كل ما يقال ويحدث من المعلم لوجه الله تعالى، فلا يقبل الله سبحانه وتعالىٰ من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه، وحسن النية هنا هو التقرب إلى الله بالعمل والبعد عن الأغراض الدنيوية الأخرى مثل العمل بجد في أوقات معينة للتقرب إلى مدير المدرسة مثلاً أو لموجه المادة أو لنيل سمعة طيبة من زملائه أو طلابه، أو الارتفاع في أعين الناس وغير ذلك فإن عمله هذا مشوب بالرياء ويؤدي إلى النار.

فيقول الرسول ﷺ: «من طلب العلم ليباهي به العلماء، ويماري به السفهاء أو ليصرف وجوه الناس إليه فهو في النار» (رواه ابن ماجة) فالإخلاص لوجه الله من كل العاملين في هذه المهنة حتى لو تعارض مع البعض سيكون جزاه الرضا الكامل من الله ثم رضا هؤلاء البعض عليه، فيقول الرسول ﷺ: «من أسخط الله في رضا الناس سخط الله عليه وأسخط عليه من أرضاه فى سخطه ومن أرضى الله في سخط الناس رضي الله عنه وأرضى من أسخطه في رضاه، حتى يزينه، ويزين قوله،

وعمله» (رواه الطبراني). ويقول الله تعالى: ﴿ **أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين** ﴾ [سورة التوبة/الآية: ١٣].

٤ ــ المظهر العام:

ـ من أخلاقيات مهنة التدريس المظهر العام للعاملين فيها. يجب أن يتسم كل فرد سواء كان معلماً مسؤولاً أو عاملاً، بالوقار والسكينة والخشية، والثياب النظيفة الملائمة للمواقف المتنوعة، مظهره يدل على رباط الجأش وذوق في ملابسه، يعطي انطباعاً بأنه مهذب، ويتجنب العبث وكثرة الضحك والقهقهة في المجالس خارج وداخل المدرسة، فالله جميل يحب الجمال وقد نهى الرسول ﷺ أن يترك المسلم قص شاربه أو تقليم أظافره أو حلق عانته أو نتف إبطه أكثر من أربعين ليلة. في هذه البيئة الطيبة تنمو الأخلاق الفاضلة بين أبنائنا في المدارس.

٥ ــ الاتزان الداخلي:

ـ ليس كافياً المظهر الخارجي للعاملين بهذه المهنة، بل يجب على كل فرد أن يتطهر من داخله من خبائث الأخلاق، ويتسم بالاتزان الإنفعالي تجاه أي موقف يواجهه مع طلابه أو زملائه، فمثلاً لا يشعر بالإحباط من نقد الآخرين له سواء كان مديراً أو موجهاً أو طالباً ولا يكون سهلاً في إثارته ومضايقته، ولا يخجل من المواقف المفاجئة ويبدو عليه الإرتباك ويجب عليه أن يتكيف مع المواقف التعليمية الطارئة ويواجهها بثبات، ويبتعد عن الغضب والحقد والفسق والشهوة، في هذه الحالة ستنفذ أقواله وأفعاله إلى قلوب طلابه، وتظهر آثاره الحميدة لأن مهنة التدريس تقوم على طهارة القلب، ونقاء النفس، وخضوع الجوارح للمنهج الثابت لكل من يعمل بها.

٦ ــ القدوة الطيبة:

ـ يجب على من يعمل بمهنة التدريس أن يكون مثلاً أعلى للمتعلمين، وكل ما يقوله أو يفعله هو محصلة خبراته السابقة من معلومات ومهارات واتجاهات فيجب على المعلم أن تتفق سلوكياته مع أخلاق الإسلام، ولنا في رسول الله ﷺ وصحابته الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة ولن تجد طاعة حقيقية من طلابك إذا وقفت بينهم بجسدك فقط تملي عليهم المعرفة. ويقول الله: ﴿ **ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا** ﴾ [سورة الكهف/الآية: ٢٨] وسوف ينظر الطالب إلى معلمه ويتساءل هل هو من أهل الذكر أم من أهل الهوى، فإن كنت من الطائفة الأولى سيتبعك الطلاب عن صدق ورغبة، وتحقق الأهداف التربوية بسهولة ويسر أما إن كنت من الطائفة الثانية فستكون واقفاً بينهم بجسدك فقط، ومن الأفضل أن تفسح المجال لغيرك والقدوة هنا كثيرة مثل:[1]

- قدوة العبادة.
- قدوة الأخلاق الفاضلة.
- قدوة الكرم.
- قدوة الزهد.
- قدوة التواضع.
- قدوة الحلم.
- قدوة العفو.
- قدوة الحكمة.
- قدوة الشجاعة.

(١) عبد الله علوان: تربية الأولاد في الإسلام، جـ ٢، مرجع سابق، ص ٦٣٦.

- قدوة المحافظة على الصحة والانفعال.
- قدوة الصبر.
- قدوة الرحمة.
- قدوة حسن السياسة.

هذا وقد أعطى الرسول الكريم النماذج العديدة للصحابة ونبههم باعطاء القدوة.

٧ ــ الحلم:

- وهو التحلي بالعفو والصبر على بعض سلوكيات الطلاب غير المرغوبة، فهذا أبقى لمودة وحب هؤلاء الطلاب، يقول الله: ﴿ **ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضوا من حولك** ﴾ [سورة آل عمران/الآية: ١٥٩] وقال الله تعالىٰ لرسوله ﷺ: ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**﴾ [سورة النحل/الآية: ١٢٥] فاستخدام اللين والمعاملة الطيبة والصفح الجميل هو أفضل رد لبعض السلوكيات غير المرغوبة في البيئة التعليمية، كم قال تعالىٰ: ﴿ **فاصفح الصفح الجميل** ﴾ [سورة الحجر/الآية: ٨٥].

٨ ــ التمكن من المادة العلمية:

- تنتهي مهمة كليات إعداد المعلمين في الإعداد التخصصي والثقافي والمهني بمجرد تخرج المعلم منها، ولكن ليس ذلك نهاية المطاف لمزيد من العلوم والمعارف لهذا المعلم، بل على كل معلم وهو في بداية عمله المهني بالتدريس البحث عن مزيد من المعرفة في إطار تخصصه بل وفي كل الفروع المرتبطة به، بجانب اتباع أسس ومهارات البحث والتنقيب التي تعلمها أثناء دراسته بالكلية مثل جمع البيانات الخاصة بموضوع أو قضية معينة، ويمكنه تكوين نواة لمكتبة علمية ثقافية صغيرة في.

منزله، ومتابعة كل جديد يكتب في مجال تخصصه وحضور الندوات والمؤتمرات التربوية إن أمكن بل والمشاركة فيها بدراسات في مادة تخصصه ومناقشتها، هكذا يستطيع أن ينمي معارفه ولا يتردد أو يخجل اطلاقاً في الاتصال بأساتذته بالكلية في أي وقت بعد تخرجه، للاستفسار أو المناقشة أو تطويع وتطبيق بعض المفاهيم النظرية التي درسها بالكلية في الواقع التربوي الذي يعيشه في المدارس. يقول الله تعالىٰ: ﴿ **فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ [سورة الأنبياء/الآية: ٧] أي أهل التخصص والمعرفة في كل ميدان عملي.

٩ ــ حب مهنة التدريس:

ـ لا شك أن نجاح الفرد في عمل ما يفرضه بالدرجة الأولى حبه واحترامه لهذا العمل، وهناك العديد ممن التحق بكليات التربية أو المعلمين مصادفة أو دون رغبة حقيقية منهم، أو نظراً لعوامل خارجة عن إرادتهم، ونظر كل منهم إلى مهنة التدريس كوظيفة فقط للارتزاق وكسب العيش أو كشهادة قد تضيف إلى مكانته الاجتماعية شيئاً. هكذا حصر المهنة في إطار ضيق، لا تليق بأم المهن ولهذا أخذت كليات التربية والمعلمين في اعتبارها أن تنمي اتجاهات أبنائها نحو حب المهنة واحترامها، لأن فاقد الشيء لا يعطيه، وركز أساتذة الكليات مناهجها نحو تحقيق هذا الهدف. وبالرغم من هذه المحاولات الجادة في هذا المجال إلا أن البون مازال شاسعاً بين النظرية والتطبيق. وعلى هذه الكليات بامكاناتها من تكثيف جهودها نحو تعديل اتجاهات هؤلاء الطلاب نحو حب هذه المهنة بأسلوب أو بآخر، وعلى الطالب المعلم أن يتساءل مع نفسه:

- هل هو أهل لهذه المهنة بحلوها ومشاقها؟
- هل يتحلى بأخلاقيات هذه المهنة؟

- هل يستطيع أن يكون موضع ثقة واحترام من الآخرين؟
- هل يدعو إلى التعاون والاحترام دائماً في العلاقات الاجتماعية؟
- هل تتوافر فيه سمات القائد الناجح؟
- هل لديه قدرة على الاقناع بالحكمة والموعظة الحسنة؟
- هل يتحمل المسؤولية في المواقف المختلفة؟
- هل يظهر دائماً قدرة على التخطيط والتنفيذ الجيد؟
- هل يتعاطف مع مشاكل الآخرين؟
- هل يحافظ على مظهره نظيفاً دائماً؟
- هل هو متزن نفسياً؟

تساؤلات عديدة يجب أن يواجهها كل من يطرق باب هذه المهنة، لأنها مهنة المعلم الأكبر ﷺ، مهنة العدل والحكمة والصبر والثقة والتحدي، والصحة والحيوية، والعقل والجسد....الخ.

١٠ ــ الثقافة العامة:

جزء من الإعداد الثقافي للمعلم يقع على عاتق كليته قبل تخرجه، في صورة مقررات تربوية وعلم نفس واجتماع وتاريخ وأخلاق وحضارة أمم، وملاحقة أحدث النظريات التربوية الحديثة... الخ، وحتى لا يكون المعلم بعد ذلك بعيداً عن كل هذا عليه بكثرة الإطلاع والتنقيب، وأن يحاول قراءة القرآن الكريم وتفسيره وسيرة محمد ﷺ وصحابته، فثقافة محمد ﷺ تتجلى في قوله: «أدّبني ربي فأحسن تأديبي» وقال الله تعالىٰ عنه: ﴿**هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلالٍ مبين**﴾ [سورة الجمعة/ الآية: ٢] وهذا يأخذنا إلى معنى آخر تماماً عن الثقافة، ولا يحصر هذا

المعنى في الإلمام بكم كبير من المعلومات فقط بل يؤكد أن الثقافة الحقة هي قوة الإيمان والعقيدة الراسخة والمعلم المثقف هو من يوظف ما يمتلكه من معلومات في تعديل سلوكه وسلوك الآخرين من حوله (الطلاب وغيرهم) أما الإنسان الذي يتباهى بمعرفة كم هائل من المعرفة أو إحراز أعلى الشهادات وترافقه سلوكيات غير مرغوبة فلا يتعدى كونه دارساً وليس مثقفاً.

١١ ــ عفة النفس:

ـ إن سماحة المعلم دليل على خلقه، وخلق المعلم الناجح تظهر في علاقاته بتلاميذه، ومراقبة ربه سراً وعلانية في القول والفعل، داخل المدرسة وخارجها. والإسلام منذ ظهوره يحاول بتعاليمه السامية أن ينتزع الأنانية من النفوس كما ينتزع الكبرياء والاستعلاء وحب الذات ليغرس بذور المودة والاخاء والعفة والأمانة والعزة والنبل والوفاء والصبر، يقول الرسول ﷺ: «من يتصبر يصبره الله ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله» فهذا ما يجب أن يكون عليه من ينتمي لمهنة التدريس، نزيهاً عفيفاً، سخياً، أبياً، يجود بعمله ابتغاء مرضاة الله فقط وليس مرضاة موجهه أو مدير مدرسته لأن ما عند الله خير وابقى، والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ويجب أن تكون نفسه عفيفة عالية خيرة ينزع منها الحقد والضغينة، ويعوّد طلابه على السماحة والأمانة والتراحم والتعاون في تحصيلهم للعلم.

١٢ ــ السماح بحرية التفكير:

من البدهيات حول خصائص النفس البشرية هو ارتقاؤها ووصولها إلى درجة السمو المتلائم مع الإنسان عن طريق حرية التفكير فهذي الحرية توقظ العقل باعتباره سيداً لكل ما في الكون جعله الله هكذا. ويرجع اهتمام الإسلام بالعقل لإتاحة الفرصة له لمزاولة نشاطه وتفكيره وتأمله في

البيئة المحيطة به. ويجب على المعلم ألا يتحكم في قدرات الطالب العقلية بأسلوب تعسفي أو في صورة من الضغوط مثل الإكراه على فعل شيء، أو التسلط وقهره على اداء عمل ما، أو إذلاله وتجميد حركته ووجوده داخل الفصل الدراسي، فهذا ما نطلق عليه التعليم الدكتاتوري والذي فيه يكون المعلم هو كل شيء، الآمر الناهي المستبد، والإسلام لم يدع إلى ذلك، فقد صان هذا الطالب وأعطاه حرية التفكير التي رفعت قدره كإنسان، واطلقت عنان تفكيره ليعرف الجمال من القبح، والحق من الباطل والطيب من الخبيث لينطلق إلى مجال أوسع، يجد فيه ذاته كإنسان، فكيف هذا المعلم يحاول قتل هذه الحرية عند طلابه أثناء عمله الصفي، ويجعله مقيداً بتقاليد باطلة وعادات سيئة في استقباله للمادة العلمية وحفظها واسترجاعها دون أدنى اعتبار لتفكيره كإنسان لذا وجب على المعلم تصميم الأنشطة الصفّية واللاصفّية التي تتيح الفرصة للطلاب لكي يربطوا بين الأسباب والمسببات، المقدمات والنتائج لكي يؤمنوا بقوة العلم وواقعيته وتطبيقاته، ونكبة المعلم الديكتاتوري في مهنة التدريس أنه يضع بذوره التبعية والإتكالية والتقليد الأعمى في نفوس الطلاب وهو لا يدري حتى إذا كبروا لا يحاولون التفكير فيما حولهم من مشكلات وقضايا بل ينتظرون ما يقذفه الآخرون الينا سواء من الغرب أو من الشرق من معارف وعلوم ويتباهون بالمامهم بها دون محاولة لاستقصائها والوصول إلى أفضل منها. في ظل حرية التفكير الصفّي في المدرسة، يدرك الطلاب أن الإنسان وما معه من علوم وتقنيات لا تحقق وحدها نفعاً للإنسان، بل لابد من الوجه الآخر لهذه العلوم والتقنيات وهو طرق التفكير والبحث يقول الله تعالىٰ: ﴿ **أفرأيتم ما تحرثون* ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون** ﴾ [سورة الواقعة/ الآيات: ٦٣ ـ ٦٤] في ظل حرية التفكير الصفّي يحاول الطلاب ربط المعرفة التي تقدم لهم بعظمة الخالق سبحانه وتعالىٰ،

ولنا في رسول الله ﷺ وصحابته قدوة حسنة وعظة في حرية التفكر فقد كانوا على مستوى عالٍ من ذلك وأشاروا إلى أن حرية التفكير تعد عبادة لأنها تنتهي إلى العبرة والعظة، وتعطي للنفس الرؤية الحقيقية للحق والجمال والإيمان.

١٣ ــ التواضع:

ـ وهي سمة طيبة وكرم من الله، وخلق رفيع من اقترب منه وتحلى به قوم نفسه وأحبه الآخرون، والتواضع الحق هو الخضوع للحق والانقياد لمنهجه الثابت والمعلم كقائد تربوي إذا تحلى بهذه السمة الطيبة سيحقق معاني كثيرة منها:(١)

١ ـ اللين وسهولة المعشر، ويفتح له تلاميذه قلوبهم مما يسهل عليه التوجيه والإرشاد عن إقناع ومن خلال قلوبهم لا من خلال منصبه، لأن الولاء الحقيقي للأفراد ينبع من حب الموالين له واحترامهم لآرائه.
٢ ـ سيخلق روح المشاركة والتعاون.
٣ ـ سيبتعد عن الرياء والغرور والكبرياء ويركز على الأهداف الموجودة.
٤ ـ سيعطي المهنة حقها تماماً من خلال التعامل المستمر مع طلابه، ويرى بأبصارهم ويسمع بآذانهم، ويعيش واقعهم.

١٤ ــ حب مساعدة الآخرين:

ـ من أحبه الله وأغناه في دنياه حتى أصبح قادراً على مساعدة الآخرين وقضاء حوائجهم، فقد منحه الله باباً من أبواب رحمته، ويسر له سبيلاً إلى سعادته، لأن قضاء الحوائج ومساعدة الآخرين من غير معصية تكسب الأجر الجزيل من الله، والمحبة من عباد الله تعالى ومن أحبه الخلق أحبه الحق، فيقول الله تعالىٰ: ﴿ **من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسنا**

(١) سامي سلمان: التواضع سمة قيادة: مجلة البيان، ٦٧٤، لندن، ١٩٩٣، ص٣٩ ـ ٤١.

فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون ﴾ [سورة البقرة/الآية: ٢٤٥]، والله لا يقترض من قلة ولا حاجة ولكنه سبحانه يريد أن يفيض نعماءه على عباده بسبب عطفهم على بعض وقضاء بعضهم حاجات بعض، كما يقول الرسول ﷺ: «على كل مسلم صدقة، قيل أفرأيت إن لم يجد؟ قال يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق، قال أرأيت إن لم يستطع؟ قال يعين ذا الحاجة الملهوف، قال قيل له أرأيت إن لم يستطع؟ قال يأمر بالمعروف أو الخير، قال أرأيت إن لم يفعل؟ قال يمسك عن الشر فإنها صدقة» كما قال ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته» والمعلم الذي يقوم بقضاء حاجات طلابه من معرفة وسلوك سوي وأخلاق حميدة وإرشاد وتوجيه يطيعه ويحبه طلابه والناس، ويقول الرسول ﷺ: «من مشى في حاجة أخيه كان خيراً له من إعتكاف عشر سنين» (رواه الطبراني في الأوسط والحاكم).

سمات وواجبات المعلم في ضوء المنهج الإسلامي:

طالما نبحث عن الغاية المثلى في مهنة التدريس، فإن المعلم الناجح هو القائد الناجح الذي يعمل في ضوء المنهج الشامل الثابت وهو الإسلام. وقد تضاربت النظريات الوضعية، والآراء ووجهات النظر حول مقياس المعلم الناجح وواجباته، وهل يرجع نجاحه إلى مستواه التعليمي وما أحرزه من درجات أثناء دراسته؟ أو زيادة عدد التلاميذ المتفوقين في فصوله؟ أو حب التلاميذ والمحيطين به له؟ هل مظهره الخارجي؟ وهل تتحكم في هذا المقياس الظروف المحيطة بالمعلم في المدرسة والمجتمع؟ عديد من الدراسات تناولت هذا الموضوع، وأكد البعض على سمات وواجبات وأكد البعض الآخر على سمات وواجبات أخرى.

قبل تناول هذه السمات كما جاء بالمنهج الحق، سيتم تناول هذه الآراء بإيجاز على النحو التالي:

أولاً: سمات المعلم كما يراها المربون العرب في العصر الحديث.

ثانياً: سمات المعلم كما يراها المربون الأجانب.

ثالثاً: سمات المعلم كما يراها العلماء المسلمون.

أولاً: ـ المربون العرب وسمات المعلم:

باستقراء الكتابات والدراسات العربية حول سمات وواجبات المعلم يمكن تلخيصها في النقاط التالية:[1]

- الاعداد الجيد للدرس.
- دقة المعلم.
- المظهر الحسن.
- الذكاء.
- الخلق الطيب.
- حب المهنة والاعتزاز بها.
- مراعاة الأساليب العلمية في التدريس.
- احترام شخصية التلاميذ.
- التخطيط الجيد للأنشطة.

---

(١) أنظر:

إبراهيم مطاوع، واصف عزيز: التربية العملية وطرق التدريس، كلية التربية جامعة طنطا، مصر، ١٩٧٧.

سعيد اسماعيل علي: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للمعلم العربي، القاهرة، مطبعة التقدم، ١٩٧٣، ص ٣٩٤.

محمد زياد حمدان: التربية العملية الميدانية ـ مرشد وكتاب عمل للمتدرب، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢، ص ٦١.

- حل مشاكل التلاميذ.
- الاستخدام الجيد للوسائل التعليمية.
- المرونة.
- الموضوعية.
- الحماس والمرح.
- الصحة الجسمية والعقلية.
- معرفة طرق وأساليب التدريس.
- العدل.
- سعة الصدر والأفق.
- الإتزان الانفعالي.
- الابتكار والتجديد.
- الصدق.
- المرح.
- القيادة الجيدة والديمقراطية.
- التعاون.
- احترام القوانين الدراسية.
- التمكن من المحتوى الدراسي.

ثانياً: ـ المربون الأجانب وسمات المعلم:

ويمكن تلخيص السمات التي أشار إليها التربويون غير العرب في النقاط التالية:(١)

- المظهر اللائق.
- القدرة على التكيف.
- اليقظة الدائمة.
- التعاون مع زملائه.
- الإستقرار العاطفي.
- العدل.
- الدافعية نحو العمل.
- الإخلاص.
- الثقافة.
- عدم الأنانية.
- الدقة.
- الحزم.
- التعاطف.
- اللياقة.

---

(١) يمكن الرجوع إلى:
- Kratz HE : Characteristics of The Teacher as Recognized by Children, John Wiley. 1960. p. 190.
- Taylor PH : Children's Evaluation of The Characteristics of Good Teacher, British Journal of Educational Psychology, 32, 1982, P.3.
- Adelsnog E : The Teacher As Model in Sanford, John Willy, N Y., 1962. pp 39 - 42.
- Richey R : Planning for Teaching, An Introduction to Education, 6th. ed., Mc Grow - Hill N. Y, 1979.

- الحماس.
- الصحة الجيدة.
- النظافة الدائمة.
- الطموح والتجديد.
- محبة التلاميذ.
- المثابرة.
- القيادة والثقة بالنفس.

ثالثاً: ـ العلماء المسلمون وسمات المعلم: ـ

وسيتم تناول آراء عدد من علمائنا المسلمين وهم:

- محمد بن سحنون (٢٠٢ ـ ٢٥٦ هـ).
- أبو الحسن القابسي (٣٣٤ ـ ٤٠٣ هـ).
- أبو علي بن سينا (٣٧٠ ـ ٤٣٨ هـ).
- أبو حامد الغزالي (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ).

وكذلك كل من بدر الدين ابن جماعة والعبدري وابن خلدون، ويمكن تلخيص آراء علماء التربية المسلمين السابق ذكرهم في صفات المعلم وواجباته على النحو التالي:[١]

- الرحمة والشفقة.
- العدل.
- القدرة على التعليم.
- التمكن من المادة العلمية.

---

(١) سليمان عبد الرحمن الحقيل: الإدارة المدرسية وتعبئة قواها البشرية في المملكة العربية السعودية، المكتبات المدرسية، وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٣، من ص ٢٠٩ ـ ٢٢٣.

- الاتجاه الديني.
- الاخلاص.
- النزاهة.
- المحافظة على وقت الطالب.
- البعد عن الخبائث والرذائل.
- النصح والارشاد والتوجيه للمتعلم.
- زجر المتعلم على سوء الأخلاق.
- القدوة الحسنة بحيث يطابق القول الفعل.
- تعويد المتعلم على الأخلاق الفاضلة.
- الصبر والتواضع وحسن الخلق.
- ترغيب المتعلم وتحفيزه على التعلم.
- استخدام وسائل الإيضاح.
- السكينة والوقار.
- اللطف.
- الشفقة مع المتعلم.
- التوجه بالعلم لله سبحانه وتعالىٰ.
- التمكن من المادة العلمية.
- القدوة الحسنة.

هكذا نجد أن علماء التربية المسلمين قد أشاروا إلى كل ما جاء به علماء التربية في الشرق والغرب، وفي محاولة لتصنيف سمات المعلم في القرآن والسنة الشريفة وفي ضوء ما أنزل على محمد ﷺ منذ أربعة عشر قرناً، لكي نؤكد مرات ومرات أن الرجوع للحق فضيلة، ولن نجد لكتاب الله وسنته بديلا سيتم تناول هذه السمات على النحو التالي:

أولاً : المظهر الخارجي

١ ــ نظافة الملبس:

يقول الله تعالىٰ: ﴿ **وثيابك فطهر** ﴾ [سورة المدثر/الآية: ٤] وقال الرسول ﷺ: «تنظفوا فإن الإسلام نظيف» (رواه ابن حبان) هذا وقد أوصى الرسول الكريم بعض أصحابه وهم قادمون من سفرهم بقوله: «فاصلحوا رحالكم واصلحوا لباسكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش» (رواه أبو داود وغيره). كما قال الرسول ﷺ: «الطهور شطر الإيمان» (صحيح مسلم).

٢ ــ ارتداء الملابس المناسبة لكل وقت:

يقول الله تعالىٰ في كتابه الكريم: ﴿ **يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد** ﴾ [سورة الأعراف/ الآية: ٣١] وقال محمد ﷺ: «ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة غير ثوبي مهنته» (رواه أبو داود). وكان الرسول ﷺ يلبس لكل حاله لبوسها، فقد وصفه أحد الصحابة بقوله: «رأيت النبي وعليه حلة حمراء كأني أنظر إلى بريق ساقيه» (الترمذي) كما قال الرسول ﷺ: «لا يصلي أحدكم في الثوب الواحد ليس على عاتقه من شيء» (صحيح البخاري).

٣ ــ الذوق في اختيار ملابسه:

وقال الرسول ﷺ: «من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة» (رواه أحمد وأبو داود والنسائي) وثياب الشهرة هو لبس الثوب الفخم بقصد التعاظم والافتخار على الناس كما قال: «من جر ثوبه خُيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة» (رواه الشيخان). والله لا يحب كل مختال فخور فقد نهى الرسول ﷺ عن الكبر والخيلاء في اللباس فقال رجل: يا رسول الله إني أحب أن تكون ثيابي حسنة ونعلي حسنة، قال: «إن الكبر

هو بطر الحق وغمط الناس» وقد أهدى الرسول ﷺ فروج حرير (وهي القباء المفتوحة من الخلف) فلبسه فصلى فيه، ثم انصرف فنزعه نزعاً شديداً كالكارِه له، وقال: لا ينبغي هذا للمتقين (مختصر البخاري).

٤ ــ أن يكون مهذباً في شخصيته:

يقول الرسول ﷺ: «وخالق الناس بخلقٍ حسن وعندما سئل من أدّبه، قال ﷺ: «أدّبني ربي فأحسن تأديبي» (رواه مسلم) وقال الله لرسوله: ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ [سورة القلم/ الآية: ٤].

٥ ــ المحافظة على نظافة الثوب دائماً:

رأى الرسول ﷺ رجلاً رث الثياب فقال: «أما كان هذا يجد ما يغسل به ثوبه» (رواه أبو داود) يقول الله تعالى: ﴿ **قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن** ﴾ [سورة الأعراف/ الآية: ٣٣].

يقول الرسول ﷺ: «إن الله تعالى جميل يحب الجمال» (رواه مسلم). وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها: «كنت أطيب رسول الله بأطيب ما يجد حتى أجد وبيص» أي ترى أثر الطيب على رأسه ولحيته (مختصر البخاري).

٧ ــ طلاقة الوجه:

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ:

«لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاكَ بوجهٍ طلق» (رواه مسلم). وقال الرسول الكريم: «تبسمك في وجه أخيك صدقة» (رواه الترمذي). والوجه الطلق هو السهل المنبسط المتهلل المبتسم.

٨ ــ الاعتدال في المشي والحركة:

يقول الله تعالى: ﴿ **ولا تصعِّر خدك للناس ولا تمشِ في**

الأرض مـرحـاً إن الله لا يحب كـل مختـالٍ فخـور* واقصـد في مشيك واغضـض من صوتك إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ [سورة لقمان/ الآية: ١٨ ـ ١٩]. ويقول سبحانه وتعالىٰ: ﴿ **ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً** ﴾ [سورة الإسراء/ الآية: ٣٧].

ثانياً : المظهر الداخلي

١ ــ تذوق المرح والفكاهة:

كان الرسول ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقاً، فقد كان يداعب صبياً له عصفور ويقول له يا أبا النغير، وفي يوم جاءته عجوز تسأله أأدخل الجنة يا رسول الله، فقال، لا يدخل الجنة عجوز، فولت تبكي فناداها وقال لها أما قرأت قول الله تعالى: ﴿ **إنـا أنشأناهن إنشـاءً * فجعلناهـن أبكارًا** ﴾ [سورة الواقعة/الآية: ٣٥ ـ ٣٦]. كذلك عندما دخل جابر رضي الله عنه على الرسول ﷺ وهو يمشي على أربعة (أي يديه ورجليه) وعلى ظهره الحسن والحسين وهو يقول: «نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما» (رواه الطبراني).

٢ ــ مواجهة المواقف المفاجئة باتزان:

قال تعالىٰ: ﴿ **واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور** ﴾ [سورة لقمان/الآية: ١٧] وعندما مر الرسول ﷺ بامرأة تبكي عند قبر، فقال: «اتقي الله واصبري فقالت: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه فقيل لها: إنه النبي ﷺ. فأتت باب النبي فلم تجد عنده بوابين، فقالت لم أعرفك، فقال: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى» (مختصر البخاري).

٣ ــ الحياء وعدم الخجل:

والحياء هو الإلتزام بمنهج الفضيلة وآداب الاسلام أما الخجل فهو

الإنكماش والانطواء والتجافي عن ملاقاة الآخرين[1]. يقول الرسول ﷺ: «إن لكل دين خلقاً، وخلق الإسلام الحياء» (رواه الامام مالك) وعندما مر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في طريق من طرق المدينة وأطفال هناك يلعبون، وفيهم عبد الله بن الزبير وهو طفل يلعب فهرب الأطفال هيبة من عمر ووقف ابن الزبير ساكتاً لم يهرب، فلما وصل عمر قال له لمَ لم تهرب مع الصبيان؟ فقال على الفور: لست جانياً فأفرّ منك، وليس في الطريق ضيق فاوسع لك. هذه هي الجرأة والسداد.

٤ ــ لا يغضب سريعاً:

يقول الله تعالى: ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظًّا غليظ القلب لانفضوا من حولك** ﴾ [سورة آل عمران/ الآية: ١٥٩]. ويقول الله تعالىٰ أيضاً: ﴿ **واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين** ﴾ [سورة الحجر/ الآية: ٨٨].

وعندما قال رجل للنبي ﷺ أوصني، قال: «لا تغضب، فردد مراراً، قال: لا تغضب» (أخرجه البخاري).

٥ ــ يتحكم جيداً في انفعالاته:

قال تعالىٰ: ﴿ **وإذا ما غضبوا هم يغفرون** ﴾ [سورة الشورى/ الآية: ٣٧] كما قال تعالىٰ: ﴿ **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين** ﴾ [سورة آل عمران/ الآية: ١٣٤] وقال الرسول ﷺ: «من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخبره في أي الحور العين شاء». (رواه أبو داود).

---

(١) عبد الله علوان: جـ ١، مرجع سابق، ص ٣٠٦.

٦ ــ هادئاً وصعباً اثارته:

يقول الله تعالىٰ: ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا** ﴾ [سورة الفرقان/ الآية: ٦٣]. وقال الرسول ﷺ: «ما تعدون الصرعة فيكم؟ قالوا: الذي لا تصرعه الرجال، قال: ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب» (رواه البخاري ومسلم).

٨ ــ الاطمئنان وعدم الخوف:

قال تعالىٰ: ﴿ **ألا بذكر اللّه تطمئن القلوب** ﴾ [سورة الرعد/الآية: ٢٨] وعندما قال أبو بكر رضي الله عنه للرسول ﷺ وهما في الغار: لو أن بعضهم طأطأ بصره ورآنا، قال ﷺ: «اسكت يا أبا بكر، اثنان الله ثالثهما» (رواه البخاري).

٩ ــ الإيثار والموضوعية في تناول الأشياء:

يقول الله تعالىٰ: ﴿ **والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾ [سورة الحشر/ الآية: ٩].

ويقول الرسول ﷺ: «لا يكن أحدكم إمّعة يقول إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تتجنبوا إساءتهم».

١٠ ــ القدرة على التكيف للمواقف المتغيرة:

يقول الرسول ﷺ: «المؤمن كيس فطن» وعندما جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فبايعه على الإسلام، فجاء من الغد محموماً، فقال: اقلني: فأبى ثلاث مرات، فقال: المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها» (مختصر البخاري).

ثالثاً الصحة العامة:

١ ـ **يتسم بالجسد الصحيح والمحافظة عليه:** قال تعالىٰ: ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾ [سورة الأنفال/ الآية: ٦٠] وقال الرسول ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف» (رواه مسلم).

٢ ـ **خالياً من العاهات الجسدية والعقلية:** قال الرسول ﷺ: «فر من المجزوم فرارك من الأسد» (رواه البخاري). كما قال ﷺ: «لا يوردن ممرض على مصح» (الصحيحين). وقال ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً» (رواه الترمذي وابن حبان).

٣ ـ **يتسم بالنشاط والحيوية: يقول الرسول :** «كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو أو سهو إلا أربع خصال: مشي الرجل بين الغرضين (للرمي) وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، وتعليمه السباحة» (رواه الطبراني بإسناد جيد).

٤ ـ **يقظ دائماً:** قال تعالىٰ: ﴿ **ولا تكن من الغافلين** ﴾ [سورة الأعراف/ الآية: ٢٠٥] وروي عن ابن عمر (رضي الله عنهما): أخذ الرسول ﷺ بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل... الخ» (مختصر البخاري).

٥ ـ **يظهر الحماس والمرح أثناء العمل:** عن البراء (رضي الله عنه) قال: رأيت النبي ﷺ يوم الأحزاب ينقل التراب، وقد وارى التراب بياض بطنه (مختصر البخاري) وقال عمر رضي الله عنه: ما من يوم يأتيني فيه الموت أحب إلى من يوم أتسوق فيه لأهلي أبيع وأشتري.

٦ ـ **لديه الرغبة في العمل دائماً:** قال تعالىٰ: ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** ﴾ [سورة التوبة/ الآية: ١٠٥]. كما قال الرسول ﷺ: «إن الله يحب العبد المحترف ويبغض العبد الصحيح الفارغ».

رابعاً الإرشاد والقيادة:

١ ـ يظهر الثقة في أفعاله وأقواله: قال تعالىٰ: ﴿ **فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير** ﴾ [سورة هود/ الآية: ١١٢] ويقول النبي ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» (رواه البيهقي).

٢ ـ لديه مقدرة على الإقناع: يقول الله تعالىٰ: ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن** ﴾ [سورة النحل/ الآية: ١٢٥].

٣ ـ المرونة في المواقف المربكة: يصف سيدنا علي (رضي الله عنه) شجاعة الرسول ﷺ ومرونته في المواقف الصعبة فيقول: «كنا إذا حمى الوطيس إتقينا برسول الله فما يكون أحد أقرب من العدو منه» ويقول المولى عز وجل: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم** ﴾ [سورة النساء/ الآية: ٧١].

٤ ـ يستخدم الشدة عند اللزوم: يقول الله تعالىٰ: ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾ [سورة الفتح/ الآية: ٢٩]. ويقول تعالىٰ: ﴿ **يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم** ﴾ [سورة التوبة/الآية: ٧٣].

٥ ـ حث الآخرين على العمل: يقول الرسول ﷺ: «إذا قامت القيامة وبيد أحدكم فسيلة فاستطاع ألا يقوم حتى يغرسها فله بذلك أجر» (رواه البخاري) وقال الرسول ﷺ أيضاً: «لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه». (رواه البخاري).

٦ ـ القدرة على توجيه المجموعات: يقول جل شأنه: ﴿ **يا أيها**

الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا﴾ [سورة المجادلة/ الآية: ١١] وفي غزوة بدر حرض الرسول ﷺ القائد أصحابه على القتال فقال لهم: «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض».

٧ ـ **التدقيق في حلول مشكلة ما واختيار أنسبها:** قال تعالىٰ: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾** [سورة الحجرات/ الآية: ٦].

٨ ـ **الفطنة وحسن وسرعة التصرف:** قال تعالىٰ: ﴿ **والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً** ﴾ [سورة الفرقان/ الآية: ٦٧]. وروى عن جبير بن مطعم (رضي الله عنه) قال: أتت امرأة إلى النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، قالت أرأيت إن جئت ولم أجدك كأنها تقول الموت، قال ﷺ: «إن لم تجديني فأتي أبا بكر رضي الله عنه». (مختصر البخاري).

٩ ـ **يقدم الاقتراحات الجيدة:** روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ يتقاضاه فأغلظ، فهمّ به أصحابه، فقال رسول الله ﷺ: «دعوه فإنّ لصاحِب الحق مقاماً، ثم قال: اعطوه سنا مثل سنه قالوا يا رسول الله: لا نجد إلا الأمثل من سنه (جملاً أكبر سناً من جمله) فقال: أعطوه فإن خيركم أحسنكم قضاء». (مختصر البخاري).

خامساً اللغة:

١ ـ **يتحدث بلغة مفهومة:** يقول جل شأنه: ﴿**أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً﴾** [سورة النساء/ الآية: ٦٣] وقال تعالىٰ: ﴿ **نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين** ﴾ [سورة الشعراء/ الآيات: ١٩٣ ـ ١٩٥].

٢ ـ **وضوح صوته ومناسبته للمواقف المختلفة:** يقول تعالى:

﴿ **واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير** ﴾ [سورة لقمان/ الآية: ١٩] ويقول تعالىٰ: ﴿ **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً** ﴾ [سورة الاسراء/ الآية: ١١٠].

٣ ـ خروج الكلمات صحيحة وجميلة من فمه: قال الرسول ﷺ: «الكلمة الطيبة صدقة» (رياض الصالحين) وقال أيضاً: «إن الله تعالى يبغض الفاحش المتفحش» (رواه الإمام أحمد). وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿ **قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن** ﴾ [سورة الاعراف/ الآية: ٣٣].

٤ ـ ينتقل من السهل إلى الصعب عند تناوله موضوع ما: يظهر ذلك في تدرج تحريم الخمر حتى لا يثقل على من يتعاطاها. وعندما سأل جبريل(عليه السلام) محمداً ﷺ عن الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان ثم الساعة، تدرج معه من السهل إلى الصعب ومن الكل إلى الجزء.

٥ ـ يجيد استخدام الوسائل اللغوية وضرب المثل والصور البلاغية للتوضيح: قال تعالىٰ: ﴿ **ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون * ومثل كلمة خبيثة كشجرةٍ خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار**﴾ [سورة إبراهيم/ الآيات: ٢٥ ـ ٢٦] كما في أحاديث الرسول ﷺ الكثير من الصور البلاغية من تشبيه واستعارة وكناية وضرب أمثلة... الخ مثل قول الرسول: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير».

سادساً العمل الاجتماعي:

١ ـ التطوع لخدمة الآخرين: قال تعالىٰ: ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾

[سورة الحشر/الآية: ٩] وفي الحديث قال الرسول ﷺ: «خير الناس أنفعهم للناس».

٢ ـ يشرك الآخرين في الأنشطة والعمل: يقول الله تعالىٰ: ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى**﴾ [سورة المائدة/الآية: ٢] وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يد الله مع الجماعة ومن شذ شذ في النار» (رواه الطبراني).

٣ ـ يحاول دائماً الوصول إلى الأحسن في عمله: يقول الله تعالىٰ: ﴿**وأحسنوا إن الله يحب المحسنين**﴾ [سورة البقرة/ الآية: ١٩٥] ويقول سبحانه وتعالىٰ أيضاً: ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون** ﴾ [سورة العنكبوت/الآية: ٧].

٤ ـ يحب التعاون الجماعي: قال تعالىٰ: ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى** ﴾ [سورة المائدة/ الآية:٢] كما قال تعالىٰ: ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا** ﴾ [سورة آل عمران/ الآية: ١٠٣] وأكد الرسول ﷺ كثيراً على أن يد الله مع الجماعة.

٥ ـ يشارك في العمل الإضافي الذي يوكل إليه: ويتضح ذلك في قصة ذي القرنين حين طلب منه القوم أن يبني لهم سداً عظيماً كي يمنع يأجوج ومأجوج من اختراقه. قال تعالىٰ: ﴿ **قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سدّا* قال ما مكّني فيه ربي خير فأعينوني بقوةٍ أجعل بينكم وبينهم ردماً** ﴾ [سورة الكهف/ الآيات: ٩٤ ـ ٩٥] ومن سيرة الصحابة رضوان الله عليهم في غزوة تبوك عندما اشتد الحر وقلّ المال ودعا الرسول ﷺ الأغنياء أن يبذلوا أموالهم في سبيل الله وقد سمى هذا الجيش جيش العسرة لما كانوا فيه من الشدة، فأعطى سيدنا عثمان وحده ألف دينار وبذل القادرون من أموالهم. وفي هذا يقول الرسول الكريم: «اللهم ارض عن عثمان فإني عنه راض». وفي غزوة أحد يروي أنس (رضي الله عنه)

فيقول: انهزم الناس ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سلمة تنقلان القِرَب على ظهورهما ثم تفرغان الماء في أفواه القوم.

٦ ـ **متسع الاهتمامات:** من أقوال عمر بن الخطاب ووصاياه: «علموا أولادكم السباحة والفروسية، ومروهم يثبوا على الخيل وثباً، وروّوهم ما سار من المثل وحَسُن من الشعر».

٧ ـ **حسن الاستماع للآخرين:** يقول الله تعالىٰ: ﴿ **الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه** ﴾ [سورة الزمر/ الآية: ١٨] ومن السيرة: أرسلت قريش سفيراً منهم إلى الرسول كي يعرض عليه مالاً أو يجعلوه ملكاً على أن يترك الدعوة إلى الله ويتبع آلهتهم، وبدأ الرجل قائلاً للرسول الكريم ﷺ يا محمد إن كنت تريد مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان الذي يأتيك رئياً من الجن بذلنا أموالنا حتى تبرأ منه، ولما انتهى من كلامه، قال له الرسول الكريم بعد أن استمع إليه ولم يقاطعه: إنتهيت من كلامك (لاحظ حسن الاستماع هنا)، قال: نعم... قال له الرسول ﷺ إذن فاسمع مني وتلا عليه آيات من القرآن الكريم من أول سورة فصلت وهذا أدب عالٍ من أدب النبوة.

٨ ـ **أن يفرق بين الجد واللهو:** قال تعالى: ﴿ **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا** ﴾ [سورة القصص/ الآية: ٧٧] وروي عن النبي ﷺ أنه يكون في بيته مع زوجاته يحادثهن فإذا حضرت الصلاة تقول عنه أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) كأنه لا يعرفنا.

٩ـ **عطوف ومحب للآخرين:** يقول الرسول الكريم: «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتى تحابوا» وقد وصف أحدهم حب الصحابة للرسول فقال: ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد لمحمد ﷺ.

مصـادر أخـــرى

تم الرجوع أيضاً في هذا الفصل إلى :

- محمـد الغـزالي: **خـواطر داعية، العــرب... الإسلام**، مجلة الدعـوة، ع ٦٤، السنة الحادية والثلاثون، ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م.
- علي خليل أبو العينين: **فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٠م.
- حسن عبد العال: **التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٠م.
- أنور الجندي: **التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام**، ط ١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٥م.